الفصل الثامن

الفترة ما بين ١٩٢٠ إلى بداية أحداث ثورة ١٩٢٤

الأسباب التي أدت الي نهوض الشبيبة لمكافحة الاستعمار:

كما عرفنا من سابق الحديث أن الشبيبة الناهضة من المتعلمين والمثقفين خريجي «كلية غوردون» الأفندية، رغم الضغوط الممارسة عليهم من قبل حكومة السودان «الإنجليزية»، وجدوا متنفساً بمتابعة الجرائد والمجلات المصرية من ما تسني لهم ذلك، لصعوبة الحصول عليها، شبة محرمة عليهم، وعند نشوب ثورة الزعيم «سعد زغلول» في مصر، أصبح الخلاص من كل ما عانوا من بطش وظلم وقهر المستمر.... فجره قريباً إليهم..... وجعلوا من «سعد» بطلهم المنقذ، وقرنوا في كل أقوالهم: (يحيّ الملك فؤاد الأول ويحيّ سعد وتحيّ مصر ويحيّ شعب وادي النيل)، ومن ثم وجدوا من يناصر قضية وادي النيل من كتاب ووطنيين فشجعهم هذا الي قيام تنظيمهم السري، كبداية لنشاط سياسي خفيء فلم تتسني لهم فرص الجهر به. والسبب الأخر الذي دفعهم للعمل السياسي السري، هو سفر أول وفد سوداني إلي إنجلترا لتقديم التهانيء لملك بريطانيا بمناسبة إنتهاء الحرب العالمية الأولي وفوز إنجلترا في تلك الحرب، وكثرت الإحتجاجات والإنتقادات في الجرائد المصرية لسفر الرفد، والشبيبة تقرأ هذه الأراء وتتفاعل معها، تطور تلك المراحل أثرت في أفكارهم ودفعتهم إلي التفكير بكل جدية لعمل يعبرون فيه عما يعانوا من ظلم وجور وكراهية لهذا الغاصب كما عبروا عنه في رسائلهم، فكيف ومتي وأين تم ذلك وهل من عقبات ومصاعب ذات أثر علي تحركاتهم، ومن أيد الفكرة ومن ضاق زرعاً بأفعالهم وحاربها؟. كل ذلك نتعرف عليه من خلال ما جرت به الأحداث.

كيف وأين إلتقي الشبيبة للتخطيط للعمل السري؟ :

لا أحد يصدق كيف وماذا فعل هؤلاء الفتية «الشبيبة» الناهضة من أجل عمل يجمعهم لتنفيذ كل ما يربوا إليه من إستقلال بلادهم التي تمثل بالنسبة لهم «مصر والسودان» منصهرتان في وحدة وادي النيل، ولكن كيف يتم هذا اللقاء وقرون الاستشعار ترصد كل تحركاتهم وتمنع أي إجتماعات حتى الإحتفالات يتصدرها الإنجليز ويدسون أعينهم في كل ركن منها، لم يتسرب اليأس في جسد هؤلاء ولم يكن الخوف يعرف طريقاً إلي قلوبهم، وبكل شجاعة وإقدام قرروا ألقاء في (دار فوز)، فما هي هذه الدار ولماذا تم إختيارها؟. فوز هي سيدة تهوي الغناء والطرب وجعلت من دارها ملتقي لمن يطرب بالغناء وقضاء سهرات هناك، وكما هو معروف وفي ذاك الزمان مثل هذه الأماكن تعتبر بالنسبة لشعب مثل الشعب السوداني ذو التدين والتمسك بالقيم والمبادئ شيء غير مقبول ولا يمكن أن يرتاد مثل هذه الأماكن من أبناء العائلات وذوي الأصول المعروفة، وهذا هو مطلب هؤلاء (ذكاء غاب علي البوليس السياسي)، وفي رأي المتواضع أطلق علي هذا المكان (دار فوز) ــ (معمل التنويم المغنطيسي للإمبراطورية البريطانية)، تلك الإمبراطورية التي قهرت العالم وأصبحت من العظميات في زمانها أراد هؤلاء الفتية تلغينها درساً بطريقتهم الخاصة فهل نجحوا في زعزعتها وتخويفها أم تغلبت عليهم؟. وبذلك قرر الشبيبة أن تكون لقاءاتهم بين من لا ينفع ولا يضر، فبدأت فعاليات الطريق للعمل السري، وبالفعل أُستقطب عدد غير قليل من فتية لا هم لهم غير قضاء وقت في لهو دون إستثمار طاقاتهم المكبوتة، محطمي الآمال لا ينظرون للمستقبل نظرة المتفأل، فعندما وجدوا إن للحياة معان سامية والوطن ينتظر منهم الكثير .... شب الشباب وتفتحت لهم أفاق رسموا طريق الخلاص، وبدأ الحديث عن الصراع ضد الإستعمار رغم عدم التكافؤ، ولكن الإصرار والعزيمة والتفاني في العمل الجماعي مع الحماس والشجاعة، كل هذه القيم الجميلة إختلطت مع دمائهم وسوف يصبح الحديث الذي كان بالأمس همساً، غداً صوتاً مدوياً، من (دار فوز ــ معمل التنويم المغنطيسي للإمبراطورية البريطانية)

نشبت المعركة فكانت حامية الوطيس. فكانت لهذه الدار أيضاً حلقات من الفن والأدب والشعر بجانب الغناء والطرب، ثم الموضوع الهام وهو ..... تكوين جمعية «الاتحاد السوداني» أول حزب سوداني في تاريخ السودان الحديث الذي تصعّد فيما بعد (وليس إنشق كما قيل) إلي «جمعية اللواء الأبيض». فما هو أول حزب ناهض الإستعمار وكيف نشأ ؟ .

جمعية الإتحاد السوداني السرية أول حزب سياسي في السودان :

كما هو معلوم لم يترك الإنجليز بلداً إستعمروها إلا وفرضوا كامل سلطانهم عليها، وللتغلب علي الصعاب الجسام التي واجهت من يقوم بأي عمل يخالف نهجهم، ذهب بعض فتية تشربوا بالوطنية ونالوا قسطاً من التعليم، فتح لهم كثير من آمال طالما تطلعوا إليها، فبدأت الفكرة في أنشاء صرح وطني يعبر عن ما بداخلهم من شعور نحو بلادهم الغالية عليهم، وفي تلك الفترة كانت المنطقة المحيطة بالقطر السوداني من شماله وجنوبه شرقه وغربه، بها كثير من فتيّة نضال يواجهون جمّ الصعاب لنيل حريتهم وطرد الإستعمار الدخيل علي بلادهم. فكيف تم ذلك ؟. أقتبست تلك الكلمات من كتاب (ملامح من المجتمع السوداني)، للأستاذ المخضرم حسن نجيله وهو واصف هؤلاء الشباب الوطني فقال : « ولو عرفتم أي جو كان يعمل أولئك الشباب الميامين وأي سيوف من الإرهاب كانت مسلطة علي الرقاب، لأكبرتم لهم تلك الجهود ولخلدتم ذكراهم بين أكرم الخالدين في التاريخ. الله وحدة يعلم أي عناء كانوا يلاقون وهم يبنون الحركة الوطنية وينشرون الوعي».... تكونت جمعية الاتحاد السوداني في حوالي العام ١٩٢٠، من سبيبة ناهضة أبت ألا أن تكون لها وجود حتى ولو كان سراً، وفعلاً أنشأ كل من (عبيد حاج الأمين، توفيق صالح جبريل، إبراهيم بدري، سليمان كشة، ومحي الدين جمال أبو سيف)، النواة الأولي لأول تنظيم سري في السودان، وهو (جمعية الاتحاد السوداني)، له نهج، حيث أن به خلايا سرية لا يتجاوز عدد أفرادها الخمسة، ويديرها جهاز (أعلي) وهم الخمسة المؤسسين للتنظيم، وإذ ما

أرادوا ضموا لهم من ممثلي الخلايا. له من الأهداف:

١- مناهضة الإستعمار بنشر المنشورات سراً لجميع طبقات المجتمع السوداني.

٢- بث روح الوطنية بين الشباب من خلال تلك المنشورات.

٣- التشجيع علي التعليم للنهوض بالبلاد.

وهذا رأي أخر يصف التنظيم السري، «لمحجوب عمر باشري» يقول فيه: (وفى أواخر عام ١٩١٩م تكونت جمعية سرية من ستة من المضريين وبعض الخريجين، وبعض الضباط السودانيين وكانت تتابع مسيرة الحركة الوطنية، وتنشر صحيفتى الأخبار والأهرام ....).

أما العضو «عثمان هاشم فقال عنها»: تألفت هذه الجمعية من خيرة أبناء البلاد، ومتنور بها ومن أبناء البيوتات المشهورة في السودان، ومن قادة الرأي فيها، وقد كان أفراد أعضاءها قبل تأليفها يبثون الدعوة ضد الإستعمار، بطرق مختلفة وجدت عند الشعب منبتاً خصيباً، وقد ساعدهم علي ذلك وجودهم في المراكز الإدارية المتصلة بجمهور الشعب، أن لهذه الجمعية يداً في جعل نفسية الأمة قابلة للإلتهاب بأول شعلة من شعل الوطنية الصادقة، وقد كانت هناك أموراً ساعدت علي نمو تلك البذور التي أنبتت هذا النبات الطيب الذي أوشكت البلاد أن تذوق ثمراته الناضجة، ولما باشرت جمعية اللواء الأبيض العمل ظاهراً، كانت جمعية الاتحاد السوداني تشتغل في الخفاء فلم تجد كبير عناء في قيادة الأمة إلي ميدان الجهاد الوطني، ولما ألقي القبض علي أعضاء اللواء ثارت ثائرة الاتحاد السوداني فانفضت بمنشوراتها تمهيداً للظهور وتحفزاً للوثوب ودعوة الأمة بأن تكون كتلة واحدة من ورائهم. (الأهرام في يوم الإثنين ١ سبتمبر ١٩٢٤م ـــ العدد (١٤٤٦٢)). ومن أبرز الأعضاء خليل فرح وهو شاعر الجمعية الذي ألهبت أشعاره حماس الكثيرين ويتغني بها إلي يومنا هذا، خلف الله الحاج خالد (وزير الحربية في فترة سابقة)، عبد الله خليل (رئيس الوزراءالسابق)، محمد صالح

الشنقيطي (رئيس أول جمعية تشريعية في البلاد)، الأمين علي مدني الشاعر الوطني، وكذا الأديب والشاعر مكاوي يعقوب، عابدين عبد الرؤوف الخانجي، (أرباب محمد عثمان، الشاب الوطني الثائر والأديب والشاعر الفحل الذي توفي صغير السن ويقال ان موته ترك عظيم الأثر في صديقه عبيد فقد تزاملاء في مصلحة السكة حديد ونشرا مع بعضهما كثير من الأفكار المنادية الي وحدة وادي النيل تحت ظل الملك المفدي ومناهضة الإستعمار)، بابكر قباني، محمد العمرابي، (ومن التجار التاجر المعروف بأم درمان الشيخ الأمين عبد الرحمن أرباب، الذي كانت تربطه صلات طيبة بعبيد حاج الأمين يدعمهم بالأموال، سوف يأتي ذكر ذلك تفصيلاً)، وجمع كُثر من مختلف أطياف الشعب السوداني. كانت نشراتهم السرية يحملها البريد إلي كبار الزعماء وكبار الموظفين منذرين ومحذرين من السير وراء الخدعة الإنجليزية الإستعمارية التي ترمي إلي إنفراد الإنجليز بحكم السودان والوصاية عليه. وكانوا يحملون للشعب أفكراهم الثورية ضد السياسة الإنجليزية، حيث يلصقون تلك النشرات خفية علي الأعمدة والجدران وفي الأماكن العامة. ليس فقط الفتية التي تسهر في دار «فوز» من تقوم بهذا العمل الخطير بل كان هناك آخرون يعملون في فرق سرية بلا خوف أو ملل. وأحياناً يرسلون بالتلغراف بعض هذه النشرات إلي الصحف المصرية للنشر (سوف يأتي ذكره لاحقاً)، وفي كثير من الأوقات يتسلل من دار فوز قبل يلحظ أحداً الرفاق، محي الدين جمال وتوفيق صالح جبريل وآخرون، لإلصاق المنشورات علي الجدران وبعض الأعمدة في أماكن مختلفة وقبل بزوغ الفجر، ثم يلوذا بالفرار، وفي كل مرة يخرج رفاق خلاف ما خرجا به . مس حتى لا يلفتان الأنظار، ويخرج أيضاً الموظفون الذين ينتظرهم دوام باكراً، ويبقي من ليس له ساعة حضور وإنصراف وهكذا لا يلحظ البوليس السري الذي كان يجوب المدينة ليلاً ساهراً علي راحة العباد كما كانوا يزعمون. فهل يرجي شيء ذو أهمية وجدية من شباب يقضي الليل في عبث ولهو ؟؟؟!!!. أما عن طباعة المنشورات، فكان الضابط الوطني الثائر وقتها «عبد الله خليل» يقوم بهذه المهمة «حيث أن الطابعة، ما هي إلا أداة بدائية تسمي (البلوظة) لدي سكاتب

الحكومة يتم إستخدامها لهذا الغرض خلسة». ومن الأحاديث التي كانت تطرب هؤلاء الشباب، ما يقصه عليهم الرفاق من طرائف صادفتهم وتعاملوا معها بكل حنكة وذكاء: « حيث عُين الرفيق توفيق صالح جبريل أحد مؤسسي الإتحاد، نائب مأموراً بمدينة أم روابة، فعهد إليه أن يعد للإحتفال التقليدي بعيد جلوس ملك إنجلترا (جورج الخامس)، والعادة جرت أن تقام مثل هذه الإحتفالية بميدان عام في كل مدينة حيث تُزين بكل مظاهر البهرجة والأعلام ترفرف فوق رؤوس الأشهاد، وهنا يأتي دور الشباب الوطني، فظل كل من توفيق صالح جبريل وباشكاتب المركز« أمروابة » عابدين عبد الرؤوف الخانجي، ساهرين ليلة الإحتفال يدبران أمراً ما !!! فكيف لهما أن يرفعا علماً خفاقاً للمستعمر وهما أعضاء للتنظيم السري الذي يناهض هذه السياسة الإستعمارية المتسلطة الخرقاء، وعند قرب الفجر، تسللا وأخذا يمزقان كل الأعلام الإنجليزية شر تمزيق ويلقيان بها بعيداً .... ثم تشرق الشمس علي أشلاء الأعلام الممزقة ويثور المفتش الإنجليزي في المركز ويجن جنونه كيف ومن فعل هذا ؟؟؟ ... فليتم البحث عن هؤلاء الجبناء ؟؟؟ ويذهب كل من في المركز بحثاً عن الجناة ، وأخذ يصور لهم «توفيق» المشهد، (حيث صار المفتش محتقن الوجه منفوش الشعر ضيق الصدر بكل من حوله يرسل العبارات النارية هنا وهناك وبوده لو أطلق الرصاص علي جميع سكان المدينة إنتقاماً للشرف البريطاني المثلوم ....!!! وما دري إن مأموره الحازم الذي يقوم بالتحقيق فيه والغضب المصنوع يلوح علي وجهه هذا المأمور وصاحبه الباشكاتب هما من فعلاها !!) . ثم يقيد الحادث ضد مجهول !!!. ويحكي «محجوب عمر باشري»، عن تلك المنشورات في كتابه ويقول: تلاحقت النشرات السرية وهرّبت مقالات الي مصر، وقد عثر على خطاب كتبه توفيق صالح جبريل لأبى بتاريخ ١٤ يناير عام ١٩٢٠ يحدثه عن شروعهم فى تأسيس جمعية الإتحاد السودانى، ويشير عليه أن يتصل بأخيه باشرى عبد الرحمن وحسن ملاسى، ومحمد أحمد سليم، وصالح عبد القادر، ومحمود أنيس وأحمد فوزى، ومحمد عثمان طاهر، ولا يتصل بعبد الله حسن كردى، وحدثنى أبى أن سليمان

كشة كانت له أعمال فى سواكن فجاء الى بورسودان، ونزل معه فى منزله، وكان يحمل صحفاً مصرية، وقد إلتقي ببعض الضباط المصريين وقد تسلم منهم سليمان كشة بعض المنشورات التى صدرت فى مصر جهاراً.»

تفعيل النشاط السري (أول منشور سياسي) :

لم يقف مؤيدو الثورة المصرية، السودان جزء لا يتجزأ عن مصر (وحدة وادي النيل) موقفاً سلبياً بعد أن كونوا جمعيتهم السرية، فقد أخذوا ينشرون بعض النشرات السرية يبثون فيها أفكارهم ويعارضون السياسة الإنجليزية التي تتمثل في صحيفة «الحضارة»، وأول منشور أحدث ضجة ذاع صيته وهو ذاك الذي أصدره صاحب الإمضاء (ناصح مخلص أمين)، حيث بعثه إلي الزعماء الدينيين والرجال البارزين بالبريد.

حضرات أخواني وأبناء وطني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

فقد لبثتم زمناً طويلاً وأنتم خاضعون لأحكام سياسة الإستعمار الإنجليزي تلعب بكم أهواء القوم وتلقي بكم كل يوم في حفرة عميقة لا تعلمون لها من قرار، فتارة تفرق بين القبائل وتارة تفرق السادة ورؤساء الدين فتقرب منهم واحداً دون الآخر وتمد بالمال واحداً وتسجن سواه. وهكذا يذيقكم الإنجليز من صنوف العسف والجور ألواناً، منها نزع ملكية الأراضي (المقصود هنا أراضي الجزيرة التي أخذت من أصحابها بثمن بخس لإنشاء خزان سنار وإقامة مشروع الجزيرة)، من أربابها الذين يملكونها بحق الوراثة الشرعية عن الآباء والأجداد، ويعطونها للشركات الإنجليزية من أبناء جنسهم كما تعلمون ثم حرمانكم من حقوقكم المشروعة، والحجر علي حريتكم الشخصية إلي غير ذلك من صنوف الظلم التي لا تخفي علي أحد منكم.(تكملة المنشور في الفصل العاشر).

(وطني ناصح أمين)/نوفمبر ١٩٢٠

ولما أثارت هذه النشرة السرية ضجة عندما أرسلت بالبريد إلي عدد كبير من السودانيين، نجد أن أحد الزعماء الدينيين الثلاثة (الشريف يوسف الهندي)، يرد بمقال في جريدة «الحضارة» وجاء فيه: «ما هذه المقالات والانشقاقات؟. أتريدون بها تعكير الحياة أما لخلاص مما أنتم فيه ؟.

رأي الله شيئاً حسناً ففعله (ألا إلي الله تصير الأمور) أما المُلك فالله يؤتيه من يشاء. فاتقوا الله يا عباد الله وأملوا مراكزكم وأنزلوا نفوسكم حيث أنزلكم الله وأنزلتكم الحكومة وإستعمار حسن الظن وشكر الجميل.

قد وردت علينا منشورات كثيرة ملعونة، لأن النصح لا يدخل منا بالجهالة... وقد عجز صاحب المنشورات أن يكتب إسمه فهل علم الناس بناصح مجهول وأمين معدوم؟. فإن كان ناصحاً وأميناً فليقابلنا وينصحنا ويسمع ما عندنا.

أما الأمة السودانية سوادها الأعظم وملأها الأكبر مرتاحة ومطمئنة بما لم يسبق له مثيل وشاكرة بما تراه من العدل والحرية والأمن ... فإن الأمة سبرت غور الأمور السابقة وكل حي باق من أفرادها شاهد في عمره مرور ثلاث حكومات، فليحضر أهل المنشورات لنطوف بهم كل حي وكل بلد ليسألوها عن ذلك فإن وجدوا خلاف ما قلناه فنحن الكاذبون ...

ويكفي كما صرح به علماؤنا العاملون في الأعداد الماضية من الحضارة وحبذه السواد الأعظم علي صفحاتها، فلا إعتبار بعده لقول (صادق أمين) أوكاذب مبين والي الله ترجع الأمور واليه المصير وهو حسبنا ونعم الوكيل» .

الشريف يوسف الهندي

١٤ ربيع الأول سنة ١٣٠٣ هـ

بداية أنشطة الإتحاد ـ تعليم الفتاة السودانية لتنهض بالأجيال :

أظهرو دوراً بارزاً في الحث علي تعليم الفتاة السودانية لتهيئتها بالنهوض بالجيل القادم لنهضة البلاد يداً بيد مع شريكها في الحياة، فالتعليم من الأولويات التي نادي بها خريجي كلية غوردون والشبيبة الناهضة العاملة في الحقل الوطني ليس قاصراً علي الرجال فحسب، بل للفتاة دور يجب ان لا يغفل عنه، فماذا فعل هؤلاء الشبيبة من عمل فعلي يشهد لهم به. ففي مساء الخميس ٩ ديسمبر من العام ١٩٢٠، هو الموعد لحفل أقيم في مدرسة أم درمان الأميرية بمثابة تمثيلية أبطالها طلبة كلية غوردون تدور فكرتها حول «تعليم المرأة»، فما هو إلا موضوع الساعة وقتها، ومن الأسماء الشهيرة في هذا المجال (التشخيص ـ تمثيل)، الأساتذة علي سبيل المثال: عرفات محمد عبد الله، عليّ نور، وعليّ بدري، وأبو بكر عثمان (لعب بعضهم دوراً بارزاً في الحركة الوطنية وبالأخص في ثورة ١٩٢٤). وإحتشد الحشد، وكعادة الإنجليز دائماً كبار الموظفين في مقدمة الصفوف، لمشاهدة هذا الحدث الفريد، وتتوسط الصفوف الأوائل (مس أيفانس) القادمة حديثاً من مصر لتتولي الإشراف علي إعداد تعليم الفتاة في السودان، وبما أن هذا الموضوع مستجد علي المجتمع السوداني، فسرعان ما وجد فريق معارض الفكرة وبشدة معللاً إن هذا الطارئ الجديد سوف يجلب لنا كثير من المشاكل التي نحن في غني عنها وتقاليدنا وتعالمنا التي تربينا عليها لا تسمح لنا بهذا البتة. والفريق الأخر ومعظمهم من الطلبة المتعلمة والشبيبة الناهضة، يؤيده ويري في ذلك منفعة تعم علي الجميع فأخذ هذا الفريق عن طريق الشعراء الفطاحل ينظم القصائد، وها هو الخليل (خليل فرح) شاعر الثورة، يشدو قائلاً:

أنصفوها من حياة نصفها ... حائر والنصف جسم جاهل

علموها إنها مدرسة ... لحياة ما إليها طائل

ورغم ما أبدت الحكومة السودانية (المستعمر) من نوايا طيبة ظاهرياً في الحث علي تعليم الفتاة السودانية، فقد توجست الخطر من ذلك ورفضت أشد

الرفض عندما أراد صاحب الرسالة العظيمة والدور البارز والهام في فكرة تعليم الفتاة، الشيخ الجليل (بابكر بدري)، أن ينشئ مدرسة، فقابل معارضة من السودانيين أيضاً، ولكنه لم يترك الأمر إلا وأخذ موافقة مدير المعارف وقتها (جيمس كرى) أول مدير للمعارف، حيث بعث بخطاب تصديق نصه: «عليك أن تفتح المدرسة في بيتك الخاص وبإسمك الخاص»، فما لبث الشيخ الجيل ففتح أول مدرسة أولية لتعليم الفتاة السودانية في رفاعة وفي داره، وهكذا ساهم كل وطني في دور بارز لنصرة التعليم، تعليم الفتاة السودانية .

عبيد وعليّ عبد اللطيف:

ذكرت سلفاً أن «أحمد حسن الخبير» جد «عبيد» عم والدته من الخندق ورث قصر والده وكل متعلقاته مع باقي إخوته، ومن أحد العاملات لديه، والده «عليّ عبد اللطيف» يقال ــ كانت تعمل في «عُواسة الكسرة» أي الخبز السوداني الشهير غذاء أهل المنطقة، ثم نزحت مع زوجها إلي الخرطوم، وتنقلا إلي أن تقابلا «عبيد وعليّ» وأصبحا صديقين بالرغم من أن الأول مدني تخرج من (كلية غوردون الثانوي القديم والثاني من العسكريين تخرج من الكلية الحربية)، الا انه جمع بينهما العداء الشديد والكراهية للإنجليز ثم بدآ العمل السياسي سوياً، وأن سبق «عبيد»، في تكوين تنظيم الإتحاد السري . ولتعريف «عليّ عبد اللطيف» أكثر، فهذا جزء من كتاب دكتورة «كوريتا» قالت فيه: (كما هو معروف، لم يكن علىّ عبد اللطيف يتمتع بمرتبة عالية داخل المجتمع السوداني الشمالي من ناحية النسب، وذلك على خلاف الأعضاء الخمسة المؤسسين لجمعية الاتحاد السوداني الذين كانوا ينتمون إلى عائلات طيبة وعريقة. فقد بدأ حياته وسط « .....» إذ أمه من الدينكا وكان أبوه من أبناء جبال النوبة. لكن دخوله للسلك العسكري أتاح له الإنضمام إلى «صفوة المجتمع »). وهذا جانب تعريف أخر ....« كان علىّ عبد اللطيف متشبعاً بكراهية الإنجليز، فهو رجل عصامي ولد في أسوان، ووالده من جبال النوبة، نشأ في رحاب أسرة محمد محمدين وهو محسى في الخندق، وأمه

من الدينكا نشأت في رحاب أحمد حسن وهو دنقلاوى من الخندق، وتاريخ ميلاده عام ١٨٩٦م، وعمل والده في الجهادية في جيش خليفة المهدي لفترة قصيرة، ولكنه هرب والتحق بالفرقة الثالثة عشرة والخامسة عشرة في الجيش المصري، وحارب مع كتشنر، وعاش علىّ عبد اللطيف في الخرطوم، وكان يعمل في خلال دراسته في مدرسة الخرطوم الإبتدائية في النادي البريطاني يحرس الخيول لقاء خمسة مليمات (علماً بان أسرته ترفض ذلك)، فتربت لديه كراهيته للإنجليز، وعنى علىّ عبد اللطيف بتثقيف نفسه، والتحق بالمدرسة الحربية، وكان البريطانيون قد إفتتحوا مدرسة حربية في السودان مولتها مصر، وعنى بعلىّ عبد اللطيف ريحان حنا الذي أوصى عديله فرج أبو زيد الضابط الذي أصبح فيما بعد القائمقام فرج بك أبو زيد، أوصاه فأدخله المدرسة الحربية. كان علىّ عبد اللطيف عفيف النفس، تخرج عام ١٩١٤م، مثقفاً أنيقا، محباً للتعايش، متابعاً لمجريات السياسة، وقد أجاد اللغة الانجليزية والعربية، وكان مفتوناً بالتحف والمصنوعات السودانية وجلود الحيوانات والرياش، وكان يتاجر بها، وعين عام ١٩٢١م ، نائب مأمور في واد مدني، والتحم مع الصاغ محمد فتوح وهو ضابط مصري، وفتح منزله للخريجين، وكانت تصله الصحف المصرية، والكتب السياسية، وقد درج على عزة النفس، فهو لا يحيى الموظفين المدنيين البريطانيين، وكان البريطانيون يلزمون غيرهم بالوقوف لهم عندما يمرون بهم، وكانوا يلزمون من يمتطى حماراً أو دابة أو عجلة أن ينزل لهم، وإشتبك علىّ عبد اللطيف مع مفتش المركز البريطاني بمدني، ورفض أن يقف له محيّياً. ولعلىّ عبد اللطيف مواقف قبل دخوله الحراك السياسي «أعني إنضمامه إلي جمعية اللواء الأبيض»، بعض أعضاء التنظيم السري «الاتحاد السوداني» يجزمون أنه لم يكن عضواً معهم لتهوره وفرض كراهيته الشديدة للإنجليز وهم يعملون في سرية تامة دون الإصطدام مع البوليس السياسي، والبعض الأخر يقرون بعضويته. وفي كلا الحالتين أصبح رئيساً لجمعية اللواء الأبيض وله مواقف تذكر، وهذا الجنب يوضح ذلك.

***

أول مقال ضد السياسة الإنجليزية من عليّ عبد اللطيف بجريدة الحضارة:

حدث هذا في العام ١٩٢١م، عندما ذهب عليّ أفندي عبد اللطيف بمقال للنشر في جريدة «الحضارة»، ولكن بالرغم من الوعد الذي أخذه من رئيس تحريرها (السيد حسين شريف)، سرعان ما علم مدير المخابرات «ولس» (قرون الإستشعار التي كانت تقوم بعملها خير قيام)، فهاج الرجل وثار ثورته وبعثر في أوراق الجريدة حتى وجد المقال وألقي القبض علي كاتبه وحُكم عليه بالسجن سنتان، أما ما يحتوي عليه المقال الذي ينتقد سياسة الإنجليز فهو الأتي:

١ - زيادة التعليم.

٢ - نزع إحتكار السكر من يد الحكومة ووضعه بيد التجار.

٣ - عن أوضاع مشروع الجزيرة وما آل إليه من نزع أراضي من أصحابها.

٤ - إسناد بعض الوظائف للسودانيين.

كما هو متبع فإن أعضاء «جمعية الإتحاد السوداني»، لا يرسلون رسائلهم عبر الجرائد السودانية بالأحرى «جرائد الغاصب» كما وصفوها، فلماذا تعامل «عليّ عبد اللطيف» مع حضارة السودان ؟؟؟.... ورغم كل ذلك فأصبح لهذا الضابط دور عظيم في ثورة ١٩٢٤. وحُوكم عليّ عبد اللطيف في عام ١٩٢٢م، وعقد كبار الخريجين إجتماعاً في نادي الخريجين بأم درمان، وناقشوا مسلك عليّ عبد اللطيف وأدان المسلك الشيخ أحمد السيد الفيل والسيد حسين شريف، وعليّ أبو قصيصة وأحمد عثمان القاضي والسيد محمد عبدالكريم ومحمد الحسن دياب وبابكر بدري وعمر إسحاق. وتحفظ محمد عليّ شوقي وحسن عليّ هاشم وميرغنى حمزة ومحمد نور خوجلى وعارضوا الإدانة. ولكن هذا المقال عرضه للمحاكمة ثم السجن.

النشرات السرية تزعج الإنجليز:

النشرات التي كانت توزع تقلق الإنجليز أشد القلق، لذلك حتموا علي جعل

بعض من رجالهم يتعقبون الفتية المتعلمة لعلهم يهتدون لمن يقود هذا العمل المشين في نظرهم ويؤدي إلي زعزعة أمنهم وسلامتهم، فعندما يشكون في أحد يهرعون بتفتيش منزله وعلي سبيل المثال كان يفتش بيت «عبيد»، وفي مرة تعقبه البوليس هو في طريقه إلي المنزل وعندما وجد أن لا مفر غير الدخول للمنزل أسرع بإعطاء المنشورات إلي شقيقاته اللأتي كُنّ في «التُكل» ـــ المطبخ ـــ فأسرعن بوضعها في «قفة الخضار» أي (سلة خضار)، فتمت المداهمة، وذلك وسط صراخ وهلع شقيقاته، فبحثوا في جميع أرجاء المنزل ولم يخطر ببالهم أين المنشورات .... ذكرت لنا جدتي «نفيسة»، بعدما علمنا بميوله السياسية وعداوته للإنجليز أصبحنا نخاف عليه كثيراً، ولما لا فلديهم تجربة فقد الأخ الأكبر (عثمان الخبير) غيرالشقيق الذي ضل طريقه في التجارة ولم يعود أبداً، ويأتي (عليّ عبد اللطيف) لزيارة «عبد» في زيّه العسكري، وعندما يقابل والدة عبيد« يرفع (الطاقية) محيّيا ويقول لها « العين لا تعلو علي الحاجب»، وهذا العرف يتبع «للعسكريين فقط»، وتصفه فتقول (عليّ عبد اللطيف شخص مؤدب ومثال لحُسن الخلق والتهذيب ولو لم يكن كذلك لما أدخله علي أهل بيته).

زيارة اللورد أللنبي للسودان :

ومن الأشياء التي أثارت حفيظة الشبيبة زيارة غير متوقعة لأحد رجال البلاط الملكي البريطاني، حدث ذلك بعد التصريح الهام وهو :« تصريح ٢٨ فبراير لسنة ١٩٢٢، القائل بأن مصر نالت إستقلالاً رسمياً». فما تأثير ذلك عليهم؟؟؟. زار السودان، في ٢٦ أبريل العام ١٩٢٢، أللورد أللنبي نائب جلالة الملك «جورج الخامس» ملك بريطانيا، واحتشد جمع كبير للقائه في سراي الحاكم العام بالخرطوم، من زعماء البلاد وأعيانها من مختلف أقاليم السودان، مشايخ ونظار وعمد ورجال دين، السادة «عليّ الميرغني وعبد الرحمن المهدي، والشريف يوسف الهندي، والشيخ أبو القاسم هاشم (رئيس لجنة علماء السودان) ـــ والشيخ الطيب هاشم (مفتي السودان) ـــ إسماعيل الأزهري (مفتي محاكم

السودان) ـــ والشيخ علي التوم (ناظر قبيلة الكبابيش) ـــ والشيخ إبراهيم موسي (ناظر قبيلة الهدندوة) ـــ والشيخ إبراهيم فرج (من أعيان الجعليين) ـــ والشيخ عوض الكريم أبو سن (ناظر قبيلة الشكرية). وجميعهم أعضاء الوفد الذي سافروا إلي إنجلترا في سنة ١٩١٩ لتقديم فروض الولاء لصاحب الجلالة ملك إنجلترا، وتزامنت زيارة أللورد إشتداد الصراع السياسي بين مصر وإنجلترا، حيث تريد مصر إستكمال حريتها وإستقلالها يقودها الزعيم سعد زغلول باشا، منادياً« بإن السودان جزء لا يتجزأ من مصر». وفي السودان أيضاً التيار المتجه صوب مصر متأثرًا بثورتها ويأمل في الكثير من زعيمها وبطولاته، ولكنه لا يجرؤا علي إظهار الشعور الثوري هذا وإلا لاقي كثير من التنكيل والتعذيب. وعندما أجتمع أللورد بالجمع الغفير خطب فيهم قائلاً: « لقد بلغني أن بعض أهالي السودان يخشون أن تكون علاقة بريطانيا العظمي في رقي هذه البلاد في المستقبل أقل مما هي عليه الآن، ولكن الحكومة البريطانية لا تنوي شيئاً من ذلك قط. وإثباتاً لقولي هذا لا أري شيئاً أفضل من أن أعيد علي مسامعكم ما صرح به رئيس الوزارة البريطانية في مجلس الأمة «يوم ٢٨ فبراير ١٩٢٢» لما كانت مسألة زيادة إستقلال مصر علي بساط البحث إذ قال : (أما السودان فأمره يهم الإمبراطورية البريطانية جداً ولذلك يجب إلا تكون الإشارة إليه وجيزة. لقد إقتضي بذل مجهودات بريطانيا ومصر معاً لإنقاذ هذه البلاد الواسعة الأرجاء من الخراب والدمار، وقد بذلنا معاً منذ الفتح أي منذ أكثر من عشرين سنة من يومنا هذا مهج الرجال وبدر الأموال لإعادة الأمن إلي نصابه وجلب الرخاء إلي بلاد ستكون يوماً ما خصيبة وآهلة بالسكان بقدر ما هي الآن قاحلة خاوية. فحكومة جلالة الملك لن تسمح أن يمس هذا الرقي الذي آلت له البلاد الآن أو ذلك الرقي الأكبر الذي نأمل أن تناله في المستقبل مهدداً، ولا يمكنها أيضاً أن توافق علي أي تغيير في مركز السودان السياسي مما قد يمس ولو قليلاً سلامة الملايين الكثيرة من الأموال الإنجليزية التي بذلت في سبيل رقي هو ما يعود عليه بالفائدة العظمي. وليس هناك من ينكر إن لمصر حقاً في الحصول علي أوثق الضمانات في إن رقي السودان لن يهدد و لن

يؤثر علي مقدار ما تأخذه من ماء النيل الآن أو علي قدر ما تحتاج من ذلك الماء لزرع جميع أراضيها، وحكومة جلالة الملك علي أتم إستعداد لتقديم هذه الضمانات وليس فيها ما تعيق أو تؤخر تقدم السودان)». وكانت جريدة الحضارة قد نشرت لقاء أللورد أللنبى مع الزعماء الدينيين السودانيين والأعيان ومشايخ القبائل، وتأكيده أن بريطانيا لن تسلم السودان إلى مصر، وجدّ لي استاك في ترويج هذه الإشارة، وعمل على إقناع الأفندية السودانيين المخضرمين. أثار لقاء أللورد أللنبي في تلك الفترة هجوم الصحف المصرية على السياسة البريطانية في السودان، وفى اللقاء الذي تم عقده أعلن السيد علىّ الميرغني في ٢٦ أبريل « إن السودان مختلف عن مصر، وأهله مختلفون عن أهل مصر، لذلك يحتاج إلى طريق مغاير من التنمية، تختلف عن التنمية في مصر، توافق أحواله و ظروفه». هاجمت الصحف المصرية السيد علىّ الميرغني.... ويقال أن في هذا القاء (عُرض علي السيد علىّ الميرغني تولي عرش السودان وأن ينصب الملك عليها فرفض).

أثر الزيارة علي أعضاء التنظيم السري:

تفاعل الكثير من مختلف طبقات الشعب السوداني بهذه الزيارة والخطاب من الزائر، فمنهم من طالب بزيادة الإصلاح في شتي مناحي الحياة بل نُظمت قصائد شعرية للترحيب باللورد، ثم تلي ذلك طلب زيادة التعليم وخلافه، ولكن الذي يهمنا هنا تفاعل الجانب الذي يؤيد الثورة المصرية ويؤمن بكل ما يتعلق من آمال في ظل حرية وإستقلال تام لوادي النيل من منبعه إلي مصبه، فنأتي إلي هؤلاء الذين لم يروا في زيارة «أللنبي» إلا محاولة تمكين أخري للسياسة الإنجليزية تهدف « لفصل السودان عن مصر»، ولكن كيف يعبر من يريد التعبير عن ما بداخله من مشاعر مكبوتة ليعلم الجميع كما فعل أصحاب الرأي الذي أيد هذه الزيارة وكتب ما أراد من أشعار علي صفحات «الحضارة»، إن السبيل الوحيد هو النشر في الصحف المصرية مع الإحتراز الشديد ألا يكشف أمر من يرسل أي عمل يحمل توقيع صاحبه وإلا وجد الكثير من التنكيل والتعذيب. ورغم ذلك تشجع أحد

الأعضاء وأرسل رسالته إلي جريدة الأهرام بمصر. فما هي تلك الرسالة ؟... عبرة سوداني هو العنوان الذي تصدر صفحات جريدة الأهرام ليوم الجمعة ٢٦ مايو سنة ١٩٢٢م، الموافق ١٩ رمضان لسنة ١٣٤٠هـ. العدد (١٣٧٥٥)، وتحوي الرسالة التي أرسلها العضو المؤسس لجمعية الإتحاد السوداني السرية وهو : الشاعر «توفيق صالح جبريل» وكما هو معروف لم يستطيع كتابة إسمه للقوانين العرفية في ذاك الزمان الصادرة من المغتصب كما سماه الأعضاء الوطنيين وقتها .... وها هو الوطني الكبير المصري الدكتور «محجوب ثابت» صاحب الكتابات بجريدة الأهرام فخصي بها السودان، تحت مسمي «المسألة السودانية» يرسل طلب بنشر الرسالة مع القصيدة مبدي إعجابه بشجاعة وإقدام هؤلاء الأبطال رغم ما يعانوا من ضيق وكرب شديد وحِجر علي الحريات. وهذا نص ما نشر في هذه الجريدة: « تلقي حضرة الأستاذ الدكتور محجوب ثابت قصيدة من أحد شعراء السودان وعلمائها صدرها بالكلمة الآتية:

سيدي المحترم

بعد الإحترام إنا قد رأينا ما تخطه يداكم الكريمتان بخصوص مسألتنا الحيوية وهي المسألة السودانية و لعمري إن عملكم لعمل المجاهدين الكبار فرأيت أنا أحد أبناء السودان أن نخصكم بما أستطيع من الشعر ولا يمكنني أن أسميه شعراً إلا لما نعرفه نحن معشر السودانيين من تجاوز أخواننا المصريين عن غلطاتنا وأرجوا أن تتكرم بنشرها بأحدي الجرائد اليومية وختاماً تقبل فائق إحترامنا.

(.....)

أرسل إلينا الأستاذ الدكتور الكتاب والقصيدة مع الكلمة الآتية:

حضرة الفاضل رئيس تحرير الأهرام

أرسل إليكم هذه القصيدة المعبرة عن وجدان منشئها أخينا السوداني الذي حيل بيننا وبين معرفة إسمه بالقوانين العرفية التي يعيش تحت نيرها منذ ربع قرن، هؤلاء

الأخوان نخبة الفاتحين من المصريين القدماء والعرب النجباء كي أقوم بما طلبه من المواطن الجليل و تساعدني علي بلوغ طلبه بنشر صوته الشعري ليتردد صداه في أسفل الوادي و أعلاه. ساعد الله الكنانة علي جمع الشمل بين القطرين الشقيقين اللذين لا ينفصلان أبداً مهما حاول المستعمرون، ومن غالب الطبيعة قهر. فليحي إخواننا السودانيين أحراراً و ليعيش النيل حراً و لتحي مصر والسودان.

الدكتور محجوب ثابت

وها هو جزء من القصيدة:

عبرة سوداني

أيها القوم لا تجروا الذيولا ... يأنف الحر أن يعيش ذليلا
سمتمونا العذاب ضيقتم الأرض ... علينا حتى هوينا الرحيلا
إن أردتم إصلاحنا قد فعلتم ... فأعذرونا إذا مللنا الدخيلا
وقبيح أن نرتضي الذل دهراً ... ونري مالنا لكم مبذولا
فادعيتم نشر الحضارة والعرفان ... والشعب لا يزال جهولا
ويح قلبي ماذا يروم «أللنبي» ... يوم وافي يجر سيفاً صقيلا
جمع الجمع أرهب القوم حتى ... أصبح السيد النبيل ذليلا
فلماذا نراه يملي عليهم ... ونراه مدونا ما قيلا
أتراه يريد يفصم حبلا ... بين مصر وبيننا موصولا
مصر أن تترك الغريب رقيباً ... سوف نقضي وتغضبن النيلا
فهو يحنو علي بنيه جميعاً ... كم شربنا من مائه سلسبيلا
أنبت النيل فتية وكهولا ... جاهدوا في سبيل مصر طويلا

الأمير عمر طوسون يدخل العمل الوطني:

والأمير عمر طوسون هو الأقوي نفوذا في أسرة محمد علي باشا ....وفي رواية، أحد أعضاء التنظيم السري «جمعية الاتحاد السوداني»، يقول:(ويثلج صدورنا أن أحد

أفراد الأسرة المالكة في مصر ينزل ميدان الكفاح ويناصر الشعب المصري في ثورته، ذلك هو «الأمير عمر طوسون»، ثم نراه يخص السودان بجانب غير قليل من اهتمامه، فنجد في نزول هذا الأمير إلي المعركة مع ما عرف من أفراد البيت المالك من صلف وكبرياء وترفع عن الشعب نصراً جديداً لقضية الحرية في وادي النيل. وفي جلستنا تلك نقرر أن نكتب للأمير رسالة عن طريق صحيفة الأهرام نعاهده فيها والشعب المصري علي العمل المخلص لتحرير وادي النيل من الغاصبين.

نص الرسالة المرسلة إلي الأهرام :

حضرة الفاضل رئيس تحرير جريدة الأهرام

سلاماً واحتراما

نناشدكم بحق الإخلاص وواجب الصحافة وبما يترتب أو ينتج من توثيق عري الرابطة السودانية المصرية إثبات هذا الكتاب المفتوح بجريدتكم لاطلاع سمو الأمير والشعب المصري عليه:

إلي سمو الأمير الجليل طوسون

إن ما بذلتموه من المجهود العظيم في سبيل مصلحة السودان، وما أتيتم به من سديد الآراء ومحسوس البرهان لضمنت المستقبل الزاهر لنا وما أثبتموه من إن السودان ومصر قطر واحد لا يقبل التجزئة ولا التدخل الأجنبي، حدا بحزب الاتحاد السوداني أن يقرر في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ تبليغ سموكم بأن في السودان حركة وطنية أساسها القومية الصادقة وغايتها تأييد الشعب المصري وان لا ينفصل السودان عن مصر بأي حال من الأحوال. ورغماً عن سعي الانجليز المتواصل وكثرة جواسيسهم وبحثهم للقضاء علي تلك الحركة فان الجمعيات السياسية كل يوم في ازدياد في الأعضاء ونشاط في العمل وقد لا يمر يوم إلا ويتلقي فيه المواطن منشوراً عن الدسائس الاستعمارية واستبداد الانجليز. فأقبل يا سمو الأمير سلوكنا علي نهج الحق والعمل لصالح السودان ومصر بدل تنميق عبارات شكرنا لسموكم وأبناء مصر المخلصين. فليحيا وادي النيل حراً من

الإسكندرية شمالاً إلي ما بعد بحيرة ألبرت جنوباً ، وليحيا الإخلاص) .

أم درمان : ١٠/ ١١/ ١٩٢٢

(سكرتير جمعية الإتحاد بأم درمان)

ملحوظة: كان الأمير عمر طوسون يعد السودان إمتداداً طبيعياً لمصر، وكتب ذلك في الصحف وضمنه كتبه ومذكراته، وكان لا يذكر السودانيين إلا بما يليق بهم، ويبدي إعجابه بكفاحهم. وحين شُكلَت لجنة لوضع الدستور المصري برئاسة حسين رشدي باشا سنة (١٣٤١هـ ـ ١٩٢٢م) كتب إليهم قبل أن تبدأ أعمالها مذكراً بأهمية السودان و إعتباره ضمن حدود البلاد كما كان قبل الإحتلال، وبوجوب تشكيل مجلس النواب من السودانيين والمصريين على حدٍ سواء يعمل للمصلحة المشتركة التي لا إنفصام لها أبداً. وكان لهذا الخطاب أثره في مناقشات لجنة وضع الدستور. وفي أخر العام ١٩٢٢ ، أُعلن رسمياً الملك فؤاد ملك مصر والسودان.

الملك فؤاد ملك مصر والسودان:

لندن في ٢ نوفمبر ـــ لمراسل الأهرام الخصوصي ـــ أنشأت مجلة «نيرأيست» مقالاً عن علاقة مصر بالسودان قالت فيه:«إن لجنة الدستور أصدرت تسمية ملك مصر، بملك مصر والسودان بالرغم من أن السودان من المسائل المتحفظ بها للمفاوضات المقبلة بين مصر وانجلترا. ومع أن السودان تابع للمملكة المصرية فان الدستور لا يسري عليه، وستوضع له إدارة خاصة. ولما كان المصريين يعلقون أهمية كبري علي مجرد الكلمات وكان النجاح في ما يظهر من التفنن في التعبير فلا يبعد أن تكون اللجنة قد اعتقدت إن المصريين يحصلون وحدهم علي مراقبة السودان بإدراج هذه العبارات، ونحن نقول أنه كلما قرب اليوم الذي تزول فيه أوهامهم كان ذلك خيراً.

«الأهرام الجمعة ٣ نوفمبر ١٩٢٢ ـــ العدد (١٣٨٨٧)»

وبهذا التتويج الملكي لمصر والسودان، أراد هؤلاء الشبيبة الناهضة العاملة في الحقل الوطني السري، إعلان برنامجهم السياسي ورفع صوتهم إلي الشعب المصري قائلين لهم ها نحن في السودان فتية نعمل علي إذكاء روح الحماس في كافة طبقات الشعب السوداني، ونساندكم في معركتكم التي هي أيضاً معركتنا ضد الانجليز، وسوف نسبب لهم كثير القلق إلي أن نحصل علي الحرية لنا جميعاً إلا وهي حرية وادي النيل شماله وجنوبه، ولا ننسي إن كل الاجتماعات تتم في «دار فوز» التي هي الأمان عن أعين المخابرات فأي ذكاء هذا الذي كانوا يستخدمونه أولئك الشبيبة الناهضة. ولكن هل مرت حياتهم بسلام بعد مساعدة رفاق لهم، أم جاءهم الخطر من باب آخر؟؟؟؟.

كيف عرف الرفاق (حزب الإتحاد) أن أحداً منهم أصبح خائناً ؟؟؟:

بدأت المنشورات تزعج المستر ولس مدير المخابرات، ففي عام ١٩٢٣م، وصله أكثر من مائة منشور، وبدأ الإنجليز يراقبون كل تجمع سوداني، ويقحمون عيونهم في حفلات الأعراس والمآتم، ويترجمون الأغاني، ويذهب أعوانهم إلى أوكار الليل ولكنهم لم يعثروا على دليل ... ثم، ترامى إليهم من بعض الثقات أن بعض أعضاء جمعية الإتحاد قد نكص على عقبيه وإستطاع (قلم المخابرات) أن يقتنصه ويستخدمه جاسوساً على أخوانه، ويُقال هؤلاء كانوا من بعض الأفراد المؤسسين للجمعية، إن هذا مع كل الأسف، إلا حقيقة مُرة بالنسبة لهم جميعاً، حيث بدأ شخص واحد له مكان مرموق بينهم، وما لبث أن جرّ إليه صديقاً أخر، ولكن سرعان ما إنكشف أمرهم بين الرفاق وعرف أمر إتصالهما بـ «صمويل عطية»، ذاك الداهية السوري وقطب الرّحى في مكتب المخابرات لحكومة السودان.

ولكن يذكر «محجوب عمر باشري»: (خطط لي إستاك أن يغفل الإنجليز أعينهم عن نشاط جمعية الإتحاد، وإستطاع أن يضم سليمان كشة واثنين من عائلة المتولي إليه، و أوصى بهم المستر ولس، وكان علىّ أحمد صالح شاباً نابهاً تخرج

بالمدرسة الوسطى، وقد أعجب بلينين، وتعرف على أستاذ يوناني أسمه «اسفيكاس» كان أستاذاً للفلسفة في جامعة أثينا، وهرب إلى السودان، وأنشأ مكتبة في الخرطوم تردد عليها علىّ أحمد صالح، كما أن صالح عبد القادر تعرف على القنصل السوفييتي في جده في بورسودان، فمده ببعض الكتب الماركسية. وفى عام ١٩٢١م، وصل لأبى خطاب بتاريخ ٢٧ يناير عام ١٩٢١م، من خلف الله خالد يحثه على الإتصال بصالح عبد القادر الذي كان وكيلاً سفرياً في مصلحة البريد والبريق، ويتسلم منه بعض الرسائل لرجل إسمه أبا يزيد..... وكانت تربط والدي صداقة بـ« عبيد حاج الأمين » وأرباب محمد عثمان، وقد كانوا جميعاً يعملون في مصلحة السكة الحديد، وكان والدي حينذاك كاتباً في الدرجة السابعة ..... وفى عام ١٩٢٢م، أخبرني والدي أن حسين شريف نزل عنده وقد نُقل والدي إلى مخزن المقرن بالخرطوم كاتباً، وأسرّ إليه أن الجمعية قد تكونت، وأن الدرديرى محمد عثمان رفض الإشتراك فيها، وأن حسين جمال أبو سيف حذر أخاه محي الدين جمال أبو سيف من هذه المغامرة، وأن جمال أبو سيف قال لابنه محي الدين:« ستخر ببيتي، وأنني لم أحصل على هذه الدكاكين والثروة إلا بفضل الإنجليز، فأنا وصالح جبريل ندين بالولاء للإنجليز»، منذ عام ١٩٢٢م، دست الحكومة بعض العيون بين السودانيين الذين يهتمون بالقراءة، وكان يفد إلى أبى في مخزن المقرن شاب إنجليزي أهداه كتاب « رسائل الجنرال غوردون إلى شقيقته بالإنجليزية»، وكتاب « صحائف غوردون»، وكان يناقش معه دائماً حصار بربر، وكيف قتل أبوه في الفاقلاب عندما جاء محمود ود أحمد، ويذكره لولا الإنجليز لما كان السودان يتحرر، وعرفت من أبى أن ذلك الشاب هو «هلليسوى»)..... وقد رأى بعضهم أن تُحل الجمعية مادام الفساد دب إلى بعض أعضائها، خوف التنكيل بالأخرين، إلا أن الأستاذ إبراهيم بدري كتب للرفاق رسالة طويلة ـــ وقد علم بالنبأ ـــ يطلب الصمود في الموقف وعدم حل الجمعية، وختم رسالته بهذه الأبيات من الشعر تأييداً لوجهة نظره، وقد كان إبراهيم شاعراً مقلاً كما يعرف المتصلون به:

عهــد قـــوىً لم تــزده الــــ حادثـــات ســـوى إزديـــاد
ويحوطــه القصـــد الشـــريف وأشـــرف القصـــد الجهـــاد
مـــن أجـــل فـــرد خـــائن تبغـــون حـــل (الإتحـــاد)؟

وعندما علم العضو والشاعر «توفيق صالح جبريل»، بان «سليمان كشة»، هـو المعني كتب يهجوه قائلاً:

ســليمان كـــان بـــديع الزمـــان معانيـــه ســـاحرة ســـاخرة
هـــوى لا يعيـــب بســـاط الريـــاح وحطـــم مرآتـــه الســـاحرة
فبـــاع الضــمير بفلــس «لــولس» ألا أيـــن ذمتـــك الطـــاهرة

والمستر « ولس» هو مدير المخابرات..... بهذه الجرعة من الحماسة، صمد الرفاق وساروا بالجمعية فى خطها المرسوم، والعجب أن هذا المارق أسدى لأعضاء الجمعية أكثر من يد في موقفه الجديد، فقد كانت وطنيته الكامنة في قرارة نفسه تهيب به أن يضلل قسم المخابرات كلما أحس أن هناك خطراً متجهاً نحو رفاقه، فكان يرا عنهم الشبهات وكثيراً ما يتخذ من مكانته عند «صموئيل عطية»، درعاً يقيهم ما كان يراد بهم من تنكيل. فأصبح بالمعني «عميل مزدوج». وأري الأتي:ـ

١- بعدما علم الأعضاء بمراقبة «المخابرات» لهم، حسم البعض أمره وطالبوا بتصعيد العمل، مادامت السرية التي نهجوها لم تجدي فلابد من مواجهة محتومة مهما كانت عواقبها.

٢- الي بعد منتصف العام ١٩٢٣، لم يكن الضابط عليّ عبد اللطيف، عضو في «الإتحاد» وما لبس ان إنضم للرفاق (فترة زمنية قصيرة جدا) حتي تزمجر العضو «سليمان كشة» ورفض تواجده، ويقيناً هي أحد الأسباب التي أدت به للإبلاغ عنهم، لما عُرف بإعتزازه بنفسه ومكانة عائلته. وهذا ما فّعله في كتابه الشهير «نسمات الربيع» وقوله (شعب عربي كريم)، سوف يأتي ذكره لاحقاً.

٣- عبيد عُرف عنه بنبذه للعنصرية والتفرقة والأعتزار بالأصول، فقط وترك جوهر القضية حيث كانت مباديء الجمعية تُنادئ «لا تمييز بين مختلف القبائل فى السودان»، فما كان منه إلا ان أصر وبشدة علي إنضمام الضابط عليّ عبد اللطيف ومن ثم إذابة هذه الفوارق وتعينه رئيساً علي جمعية «اللواء الأبيض»، وهذا الفعل رفضه كثيرون ولم يتجاوب معه غير القلة المؤمنة بالفكرة ومضو في طريقهم الجديد بكل ما فيه من عقبات سوف نتطرق إليها تفصيلاً.

فهل هذا ما خطر علي خلدهم؟. أم طارئ أخر جعلهم يفكرون بجدية أكثر؟؟؟. ولهذا العضو «سليمان كشة»، كثير من الثقافات أدت به إلي التفكير في جمع قصائد في كتاب «نسمات الربيع» قيلت في الإحتفال بمولد الرسول صلّ الله عليه وسلم، ومن ضمن المشتركين في جمع القصائد صديقه «عبيد» وتعتبر هذه أحد أنشطة جمعية الإتحاد، فكيف تم ذلك، وهل من صعوبات واجهتهم، وما هي نقطة الخلاف بينه و«عليّ عبد اللطيف»، الذي تم إختياره بعد ذلك الموقف مباشرة ليقود جمعية «اللواء الأبيض»، فهل لهذا الموقف كبير أثر في إختيارعليّ عبد اللطيف، أم ثم هناك أسباب أخري؟.

مشاركة عبيد حاج الأمين في كتاب نسمات الربيع:

بمناسبة الاحتفال بالليلة الختامية لمولد رسولنا الكريم صلّ الله عليه وسلم في ١٢ ربيع الأول العام ١٣٤٢هـ لسنة ١٩٢٣، حيث أقيم الحفل في سرادق الحكومة بأم درمان، وشباب الخريجين يشتعلون حماساً الكل يحمل أشعاره ليتباري بها أما الحشد الغفير، والشعور الوطني زاد كثيراً من زى قبل، ومنظر الطلبة وهم بالزى الوطني من جلباب وعمامة، أمثال الشبيبة العاملة في الحقل السري، توفيق أحمد البكري، سليمان كشة، وآخرون في زى (الأفندية) كما أطلق عليهم في تلك الحقبة، عبيد حاج الأمين، وعثمان هاشم، ومن أشعار عثمان هاشم:

ناد القوافي فإن لباك شاردها   فصغ بديع معانيها بإمعان

إني تعهـدت فيـه أن أعيـد بـــه   في مولد المصطفي أيـام حسـان

ثم، شاعر أخر أكثر حماسة وأثار ضجة كبيرة عندما جاء بشعره وخالف العـرف السائد لمثل هذه الاحتفالات، فلم يكتب أشـاعره عـلي ورق بـل أراد أن يقـرأ مـا حفظ، ولكن رفض له هذا العمل الحديث علي عهدهم وهنا وقف مأمور أم درمان وقتها «عبد الخالق حسن» ذاك الرجل الطيب الذي أحبه الكثيرون وهو أخر مأمور مصري لمدينة أم درمان، فقال مخاطباً لجنة الاحتفال:« أن يدعوا هذا الشاب يتلوا علينا قصيدته وأنا أتحمل تبعاتها، ثم أخذ (الفتي مدثر البوشي) يقول:

سـلام عـلي الـدين الحنيـف وفتيـة   علي عهدهم ترعي النهي والمحارم
تبـدل ماضـينا ولم تبـق سنـة   وصـار لنـا ممـا نعـد المواسـم
إذا شـئت يـا ذات الثنايـا تشـاهدي   بنيـك عـلي مـر الليـالي فهـاهم
نفوس أبت فعـل الخيـرات لأهلهـا   وأيـد إلي الأعـداء نعـم أللـهازم
وكيـف يـداني النـاس محمّـد أحمـد   وأحمد نودي حيث جـبريل واجـم
مـلائكة الرحمـن أحراسـه ومـن   مقـاتلة الأنصـار جـند مقـاوم

ولهذه القصيدة(بعض أبيات منهـا)، أثـر في نفـوس الحاضـرين ومتـنفس لمـا يشعرون به من كبت ولكن، أثارت حفيظة الانجليز وتم استجواب الفتي وتـدخل أصحاب الشأن وتم إخلاء سبيله.... لـيس في أم درمـان وحـدها تقـام مثـل هـذه الاحتفالات بالذكري العطرة لميلاد رسولنا الكريم صلّ الله عليه وسلم، فقد كـان علي سبيل المثال سرادق أخري في الخرطوم، ونأخذ منها أشعار الثائر (صالح عبد القادر) أحد الذين يعملون في الحقل السري، فماذا قال؟ :

يـا صـاحب القـرآن نظـرة مشـفق   الـدهر خـان وحلـت البأسـاء
عطفـاً عـلي الاسـلام إن شـعوبه   اجتيحت وقد لعبت بهـا الأعـداء
عاثـت بـه أيـدي الطغـاة فبـدلت   أزيـاءهـ فتجـاهـل العلمـاء
مـا أضـعف الإسـلام فيمـا بيننـا   عـز النصـير وضـلت الآراء

حمل الزمان عليه حملة قادر ... والقائمون بأمره ضعفاء
لو لم يكن ديناً قوياً لانمحت ... آثاره من خانه الأمناء
لكنه باق على حالاته ... رغم العدا مهما إليه أساءوا
دين لنبي محمد دين الهدي ... والناس أحرار لهم ما يشاءوا
يا أمة هضم الزمان حقوقها ... كم نبهتك بوعظك الحكماء
ومن العجائب أن تموت بلادنا ... جهلاً وفيها السادة العلماء!

هذه بعض من أبيات لشعراء ذو ثقافات عالية ودراية كبيرة ووعي بما يحدث في تلك الفترة من مظالم وقهر وكبت للشعور والوطني وما أكثر هؤلاء الشبيبة وقتها، ويفتتن الناس بهذا اللون من الشعر الثائر، ويتمني كل فرد من الحضور لو حصل علي هذا الشعر ويجعله من ضمن مقتنياته، ولكن هل كل الأماني محققه، نعم! هذا الفتي من الذين يعملون في الحقل السري ورفاقه أبوا ألا يفوتهم مثل هذا الشعر الذي يعبر عن كثير من مشاعرهم المكبوتة، وتنفس كل منهم الصعداء في هذه الليلة، فماذا فعلوا؟... يقول صاحب هذه الفكرة «قصة كتاب نسمات الربيع»، من مذكراته التي سجلها في مجلة (مرآة السودان):« كُنا قد كونا (جمعية الاتحاد السوداني السرية) ومن أغراض هذه الجمعية بث الثقافة ونشر التعليم، وفي نوفمبر ١٩٢٣ كُنا نحن أعضاء شعبة أم درمان من الجمعية قد قررنا أن تدخل الجمعية ميدان النشر وان نخصص لها أسم «الرابطة السودانية» وان يكون النشر باسمي لأنني ليست موظف حكومة. أما المسائل الفنية والمالية الخاصة بالنشر فكان مسئولاً عنها «يوسف أفندي الريح» الموظف بالمساحة «رحمة الله عليه» لبعده عن الشبهات الحكومية ولعدم معرفة جل أعضاء الجمعية به ولثقتي فيه وتثنيه صديقي «عبيد حاج الأمين»، ووجدنا ان لو استطعنا فجمعنا كل القصائد التي تقال في ليلة المولد هذا العام وطبعناها وبعناها لكانت الفائدة مزدوجة، ولكن كيف الحصول علي القصائد؟. كان مشروطاً علي الذين يريدون إلقاء قصائد في ليالي المولد أن يقدموا نصها مكتوباً للمراقبة، ولا يسمح لأحدهم أن ينطق إلا

بما نال الموافقة!. وكان المجازفون يقدمون شيئاً ويقولون شيئاً، ونحن في حاجة لما يقولون، وقد كان من بين أعضاء أم درمان الذين حضروا بحث هذا الموضوع، (القاضي ... أحمد بابكر بدري) فأشار علينا بطريقة كانت ناجحة، وهي أن نكلف ستة من أعضاء الجمعية، وقدم نفسه ليرأس ثلاثة منهم، فيكتب كل منهم صدر بيت يقال، وكل علي حدته ويكتب الآخرون العجز. وإختاروني رئيساً لأصحاب العجز، فاخترت الزميلين الشيخ عمر العمرابي(عضو الشيوخ سابقاً)، والمرحوم عبيد حاج الأمين، واختار أحمد بابكر بدري الأساتذة ألبدري الريح«رحمة الله عليه» والمرحوم الأمين علي مدني، وعلي ما أذكر محمد عثمان عيسي«ابن رجاء»، (وهو التوقيع الذي عرف به وهو يكتب في الحضارة)، ونجحت الخطة (وهؤلاء هم الفتية الذين شاهدناهم متخفين داخل السرادق، منكبين يسجلون خفية ما يسمعون)، ولما قارنا وجمعنا كل ما كتب كونا مجموعة القصائد وهي كل ما قيل، فنسخناها في كتاب صدرناه بهذا الإهداء (إلي كل من وضع لبنة في تشيد صرح النهضة الأدبية، إلي النفوس الطامحة للرقي والتقدم، إلي القلوب النابضة بحب البلاد، إلي الضمائر الحية النقية، بل إلي شباب البلاد الناهضة وزهرته اليانعة...)

بسم الله الرحمن الرحيم

(البلد الطيب يخرج نباته بإذن الله) شعب عربي كريم يدين بدين الإسلام الحنيف دين الإخاء والحرية والمساواة، هطلت عليه من سماء العروبة قطرات أنعشت روح الأجداد فازدهرت جنة أدبائه، وأينعت وهذه فاكهة من ثمارها قيلت في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٢هـ ذكري للمولد النبوي الشريف. وقد حدا بي إلي جمعها ما حازته من استحسان فأحببت ألا يفوت النائين استنشاق هذه الزهور التي تتسرب رائحتها إلي الأفئدة والقلوب فتعشقها والذكري تبعث الذكري. وهكذا تم طباعة وإصداره بعد معاناة مع الطباعة وقلم المخابرات الانجليزية الذي وقف بالمرصاد لكل عمل يزيد من الوعي والتثقيف وبمساعدة السيد حسين شريف... ثم تسلم سليمان كشة أول نسخة من كتاب نسمات

الربيع، ووُزعت علي أعضاء جمعية الاتحاد في الأقاليم فمنهم من باعها بعشرة قروش وهو الثمن الذي قدر له ومنهم من باعها بخمسة وعشرين قرشاً وآخرون باعوها بجنية، وكل الأموال كانت حصيلة لمالية «جمعية الاتحاد السوداني السرية»، ولكن هذا الكتاب أحدث بعض المواقف مع شخص سوف يأتي ذكر بطولاته فيما بعد ألا وهو «الضابط عليّ عبد اللطيف»، إذ يقول سليمان كشة في مذكراته:«وما كانت صلتي الودية مع المرحوم الضابط عليّ عبد اللطيف متينة، ولكنه لم يكن عضواً في الاتحاد معنا لفرط تطرفه، فقد زارني في منزلي بأم درمان عقب النسمات محتجاً ومنبها إلي اللهجة التي سلكتها في المقدمة إذ قلت(شعب عربي كريم) وأراد أن أقول (شعب سود'اني كريم)، إذ لا فرق بين عربي وجنوبي، فأكبرت ذاك منه وظللنا بعدها صديقين علي أساس مصلحة السودان وان لم تجمعنا أحدي الجمعيتين فلم أكن أحد أعضاء اللواء الأبيض ولم يكن هو أحد أعضاء الاتحاد السوداني.

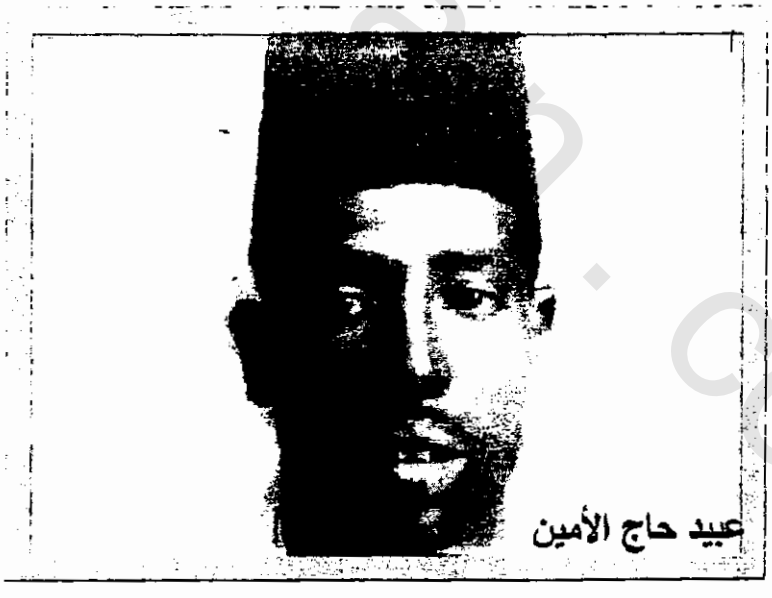
عبيد حاج الأمين

دور عبيد حاج الأمين في إرسال الطلبة إلي مصر للتزود بالعلم والمعرفة :

وتبقي كلية غوردون علي الرغم ما بها من تحفظات، الصرح الهام الذي يغذي شبيبة تلك الفترة بالعلم والمعرفة وتبادل الثقافات وتنظيم الأشعار الوطنية خفية وفي مناسبات مختلفة كالأعياد وخلافه ولكن هل هذا كل ما يطمحون إليه؟ بلا ! لقد كانت أنظارهم تتجه نحو مصر وثقافتها العالية والنهضة المتقدمة وهذا هو تيار العمل السري من طلبة وموظفين وغيرهم، فهل ينجح أحد منهم في الخروج من قبضة المستعمر إلي مرماهم ، إلي مصر؟. نعم .... في خريف عام ١٩٢٣م ودع الرفاق من جمعية الاتحاد السوداني الطالبين (توفيق البكري، وبشير عبد الرحمن)، بمحطة الخرطوم للسكة الحديد، حيث رافق المودعين («دينمو» الحركة الوطنية، كما لقبة صديقه سليمان كشة)، عبيد حاج الأمين الذي كان يؤمن أشد الإيمان بأهمية التعليم والنهل منه بقدر كبير، وبه تزدهر الأمم وتعلوا شامخة، و الرفاق شاعر الاتحاد توفيق صالح جبريل، وصاحب نسمات الربيع وعضو الاتحاد سليمان كشة، وهؤلاء الثلاثة من مؤسسي حزب الاتحاد السوداني. فعندما أنطلق القطار يحمل أول طالبين للعلم بمصر، صحابتهما دعوات الرفاق بان تواليهم رعاية الله وألا ينكشف أمرهم حتى يبلغوا مصر أمنيين، واستجاب الله لدعواتهم وتم لهم الوصول بسلام، وأكرم وفادتهما في منزله العامر فضيلة الشيخ الجليل«محمد نور الحسن» أحد علماء السودان بالأزهر الشريف. ولم يمر هذا الحدث بسلام!!! . فجن جنون الانجليز وصب جم غضبهم علي هؤلاء العصاة الذين فروا من قبضتهم، فكيف لهم أن يخرجوا عن طاعة أولياء أمورهم، فما لبثوا أن شنوا عليهم حرب شعواء وسدو أمامهم منافذ الرزق والمعونة، وحرموا علي ذويهم إرسال أي مبالغ مساعدة لهم، فعاشو علي الكفاف وما دون الكفاف. وهنا يري الانجليز إن التعليم له دور في خلق رجالاً مناهضين لسياستهم عاملين لنيل إستقلالهم، وكيف لا ؟.... فقد عانوا من أثر التعليم في مصر وثورة ١٩١٩م«بقيادة سعد باشا زغلول» فهم لا يرغبون تكرار ذلك، الذي بات وشيكاً امتداد ثورة في السودان، لذلك جري معاملة الهاربين لمصر طلباً للعلم معاملة

المجرمين الخارجين علي القانون، بل منعوا من العودة الي ذويهم وصحبهم، وها هو أحد طلبة العلم في مصر يرسل بعض ما جاشت به نفسه الي الصحاب لكي يصف لهم ما يعاني من فقد كثير، أثر في نفسه، فقال توفيق البكري منشداً:

بكي في الدجى والناس لا يسمعونه ... وهل تنصت الأسماع للحسرات؟
شكي ما يلاقيه فنفس حزينة ... وجدُ رماه الدهر بالعثرات
تناوحه الآلام من كل جانب ... و تعتاده الأحزان مختلفات

وهنا يرد عليه شاعر الاتحاد مواسياً رفيقه ومشد من أزره، ألا وهو توفيق صالح جبريل :

أري الأسد الباكي يفرج كربه ... وحيداً كئيب النفس في الظلمات
وينصت كالمصغي لدقات قلبه ... ويرعي نجوماً لحن مضطربات
جيوش من الأحزان بدد شملها ... بسيف من الصبر الجميل مواتي

وها هو الشاعر والمهندس محمد أحمد المحجوب، يرد لتوفيق البكري مواسياً، فيقول:

يا شاعراً تبكي ومجدك آتي ... اسقيني خمراً من العبرات
أرسلت دمعك من فؤادك فائضاً ... فجرت دموع الصحب منهمرات

ولم تقف هجرة بل هروب الطلبة التي تتوق إلي النهل من العلم من السفر إلي مصر وها هو رفيق أخر ألا وهو :الدرديري احمد إسماعيل يروي قصته : (وفي سنة ١٩٢٢ أو ما قبلها بدأت تباشير حركة وطنية للنهوض بالسودان وكانت تعمل في الخفاء، وشجع رواد تلك الحركة الميمونة الزميلين المرحوم بشير عبد الرحمن وتوفيق أحمد البكري بالهجرة إلي مصر لطلب العلم فذهبا، وكانا الرائدين إذ بعد عطلة الصيف أو الخريف في سنة ١٩٢٣ عاد الطلبة من مدنهم وقراهم وسمعنا بهجرة الزميلين. ومنذ تلك اللحظة قررت أن ألحق بهما، وجاء امتحان النقل من السنة الثانية للثالثة وكنت أول فرقتي، وجاء موعد اختبار الدفعة الثانية لمدرسة

«كتشنر» الطبية فوقع عليّ الاختيار فرفضت لأني كنت معتزماً الهجرة (ولأوفر) مكاناً لمن كانوا يريدون، فأصر المستر «بودال» فرفضت مؤقتاً. ولما جاءت عطلة صيف ١٩٢٤ بدأت تباشير الحركة الوطنية بقيادة «جمعية اللواء الأبيض» وقامت أول مظاهرة بأم درمان فسمعت بالنبأ وعدت من بلدي في الحال بنية السفر إلي مصر أو الاتصال بإخواننا الطلبة في العاصمة المثلثة فأصلت أولاً بالأخوين المرحومين (عبيد حاج الأمين وعرفات محمد عبد الله)، من جمعية اللواء الأبيض وكان همزة الوصل الأخ والزميل (صالح باخريبة). وكتب المرحوم (عبيد حاج الأمين) لمصر للزميلين (بشير وتوفيق)، فكانت إجابتهما مخيبة للآمال لأنهما كانا يعيشان علي الكفاف ويجاهدان جهاد الأبطال للدراسة ليلاً بأمعاء خالية!!!. فاتجه إلي أن أبقي وان تنظم حركات إضرابات في الكلية كجزء من اللواء، فاتصلت في ذلك الوقت بالطلبة الذين بقسم المهندسين ويقيمون بالكلية للتمرين مدة الصيف، وأذكر إن لم تخني الذاكرة ـــ منهم الأخوين (عليّ نور وعمر الريح)، وأذكر أني اتفقت مع المهندس (عليّ نور) علي أن نكون قسماً «للواء الأبيض»، وكنت أجتمع أيضاً بالأخ المرحوم (محمد عباس أبو الريش) مؤسس مكتبة «النهضة السودانية»، والمرحوم إدريس عبد الحي الطالب «بالمدرسة الحربية»، آنذاك ليقوم كل منا في إشعال روح الثورة في مدرسته. وفي ذات يوم وعلي حين غرة ذهب الصديق (صالح باخريبة) إلي منزل العم (مصطفي كشة) بحثاً عني، وعلمت بعد ذلك فذهبت إليه في منزله فناولني «ثلاثة جنيهات» علي إنها من المرحوم الزعيم (عبيد حاج الأمين)، ومن مال «اللواء الأبيض»، لأقوم إلي مصر في اليوم التالي وكان يوم الأربعاء في آخر يوليو سنة ١٩٢٤ علي أن يقوم المرحوم (عرفات محمد عبد الله)، بأكسبرس الجمعة ونلتقي في الشلال، فاستقللت الدرجة الرابعة ووصلت الشلال وأقمت في «الجبل» بقهوة أفترش الثري ليلتين كاملتين ولم يبق معي غير «٧٥» قرشاً. وجاء المرحوم (عرفات) وذهبنا إلي مصر فكنت ثالث طالب، والتحقنا ثلاثتنا بمدرسة (فؤاد الأول) الثانوية، في أكتوبر سنة ١٩٢٤، وفي ١٨ نوفمبر ١٩٢٤ قتل السردار السير لي ستاك في القاهرة فألقي القبض علينا،

وكان أن تبع ذلك انقطاع أخبار السودان عنا، وكان هناك ما يشبه الستار الحديدي، وكان التعب، وكانت الحياة الشاقة إذ أكثر الناس عطفاً علينا يبتعد عنا لمضايقة البوليس السري. وفي سنة ١٩٢٦، كان الدكتور «علي ماهر» وزيراً للمعارف فالتمس من صديقه وزير الأوقاف في ذلك الوقت «محمد علي علوبة» باشا، عمل مساعدة لنا فكان أن قرر لكل منا «٧٥» قرشاً في الشهر، كنا ندفعها أجرة «الشقة» التي كنا نعيش فيها(رقم ١٤ حارة الجداوي بباب الخلق) وكانت هذه الشقة محجاً لكل السودانيين يتتبعون أخبار السودان وتكتب المقالات هناك من المرحوم عرفات والمرحوم فرغلي، وتوفيق وبشير، وكل من يدلي بدلوه في أذكاء نار الحركة الوطنية بقيادة وكيل «جمعية اللواء الأبيض» بمصر الأستاذ (عرفات محمد عبد الله). ولا ننسي فضل أخواننا المصريين من ضباط الجيش الذين خدموا في السودان وساهموا في مساعدتنا وفي مقدمتهم المرحوم الصاغ «محمد عوض» واللواء «أحمد الصاوي» والأميرالاي «علي علي موسي» وغيرهم، وكان الشيخ «محمد نور الحسن» خير عون لنا إذ لم نأكل اللحم أو نأكل أكلاً مغذياً إلا حينما يعود في الإجارة ليسكن معنا، وكان غذاؤنا (عيش وطعمية وسلطة لبن أو طحينة). وفي أكتوبر سنة ١٩٢٧ تكرم طيب الذكر المرحوم (الأمير عمر طوسون)، بعمل إعانات شهرية لنا نحن الثلاثة (توفيق وبشير وكاتب هذه السطور الذي كان يتقاضي أربعة جنيهات بجانب الكساوي التي كانت تقوم بها دائرة سموه في بداية كل عام دراسي)..... وبمناسبة ذكر الأمير «عمر طوسون» قال لي الفريق «محمد عثمان هاشم» ـــ حيث والده أحد أعضاء الحركة الوطنية ـــ عندما حدثه والده عن طلبة العلم الذين يهربون إلي مصر ويجدون قلة من المال وتلزمهم مصاريف كثيرة فكتب إلي «عبيد حاج الأمين»بأمرهم فعلم منه انه يراسل سمو الأمير «عمر طوسون» الذي عرف عنه كثير من الخدمات التي يقوم بها من أجل طلاب العلم بمصر، ووعدني الفريق بالبحث عن الخطابات التي تخص والده والتي كانت بينه وبين عبيد ولكن لم تمهله العلة التي ألمت به وفاضت روحه إلي بارئها رحمة الله عليه.

زيارة حافظ بك رمضان إلي السودان :

وفى ديسمبر عام ١٩٢٣م، زار السودان حافظ بك رمضان زعيم الحزب الوطني وأحد المصريين العاملين في الحقل الوطني، فاحتفل به النادي في الخرطوم، وبعد سفره بدأت الكتب والمجلات المصرية تُرى، كما أن الصحف المصرية أطلق سراحها، وتقدم « اللواء الأبيض » إلى سعد زغلول رئيس الوزراء بصورة مذكرة أرسلها للحاكم العام، يطلب فيها بإسم لجنته المركزية أن يمثل في المفاوضات الإنجليزية المصرية وهذه المذكرة كانت بتاريخ ١٦ مايو عام ١٩٢٤م، والمصريون بدورهم قد وضعوا في تصورهم أن يخصصوا عشرين مقعداً في البرلمان للسودانيين، وفطن أعضاء « اللواء الأبيض » على أن الإدارة البريطانية سترحب بذلك، وتعين في هذه المقاعد الزعماء الدينيين والأعيان والعلماء.

تصعيد العمل فمنْ ذهب من جمعية الإتحاد إلى اللواء الأبيض ومنْ تخلف ؟ :

كانت هناك وجهتا نظر تتجاذب، بين من يعمل في الحركة الوطنية السرية، إحدى وجهتي النظر تقول: إن البلاد لم تتهيأ بعد للنشاط السافر ضد الإنجليز، وكان أنصار هذا الرأي يتخوفون أن ينكشف أمر هذه الحفنة القليلة المجاهدة فيقضى عليهم الإنجليز دفعة واحدة وينتهي نشاطهم إلى حين طويل، وجهة النظر هذه تمثل الجانب «المتزن» من أفراد الجمعية. أما الجانب «الثائر» منهم كان يرى أن لابد من مواجهة المستعمرين بملحمة سافرة مهما تكن النتائج، وحجتهم في ذلك ما كان يقوم به الإنجليز من نشاط قوى ملحوظ وذلك بتجنيد الموالين لهم ليعلنوا (فصل السودان عن مصر)، وبقائه تحت الوصاية الإنجليزية حتى يبلغ رشده، معللين أن لابد من رفع صوت المعارضة عالياً وبكل السبل المشروعة لإفساد المؤامرة.

وبما إن معظم الشباب كان ثائراً وقتها، ولكن «عبيد الحاج الأمين» رحمة الله عليه، كما وصفوه، (كان أمة وحده فقد كانت طاقة وطنيته ضخمة، فطبيعته الثائرة

الجامحة ضد الإستعمار جعلته يضع يده أيضاً مع علىّ عبد اللطيف ليكون معه وثلاثة آخرون، صالح عبد القادر وحسن صالح المطبعجى وحسن شريف الخلية الأولى للواء الأبيض).

ووصف الدكتور (أحمد إبراهيم دياب)،جمعية اللواء الأبيض قائلاً: «إختلفت الروايات في التاريخ الذي تم فيه تكوين جمعية اللواء الأبيض، وذلك لأنها بدأت سرية أولاً ثم كشفت الغطاء عن نفسها عندما أرسلت برقية إلي الحاكم العام في ١٦ يوليو ١٩٢٤.

وفي رأي المخابرات أن الجمعية قد تكونت في أكتوبر ١٩٢٣ وكان أسمها « الشبيبة السودانية » وتغير هذا الإسم إلي « اللواء الأبيض » في مايو ١٩٢٤ عندما عقد أول إجتماع حضره حسب قول تقرير المخابرات كل من ... (الملازم أول علىّ عبد اللطيف ـــ وصالح عبد القادر ـــ وحسن شريف ـــ وعبيد حاج الأمين ـــ وحسن صالح المطبعجي ـــ واسطي رمضان محمد ـــ وإسماعيل ومكي إبراهيم المشلي ـــ وموسي لاظ ـــ وحسن مدحت ـــ وعزالدين راسخ ـــ وعلي أحمد صالح ـــ والطيب بابكر ـــ وأحمد المنياوي ـــ وأحمد المليجي ـــ وتوفيق وهبي ـــ ويوزباشي عبد الحميد حافظ ـــ ويوزباشي أحمد الصاوي ـــ وملازم فؤاد حافظ).

وفي هذا الإجتماع تم إختيار إسم « اللواء الأبيض » اسماً للجمعية، ويتضح من الأسماء التي ذكرتها والتي تعتبر بمثابة لجنة مركزية أن للنخبة العسكرية دوراً واضحاً في العمل داخل التنظيم السياسي ومن هنا يظهر لنا أن كل ما حدث بعد ذلك بين صفوف العسكريين وفي وحداتهم تجاوباً مع فكر اللواء الأبيض لم يكن شيئاً عفوياً بل كان نابعاً من الصلة بالتنظيم السياسي .... وكان من ضمن الأعضاء ابن السلطان علىّ دينار «مزمل علىّ دينار»، وكذلك ابن شيخ العلماء «الأمين ابو القاسم أحمد هاشم».

وقد ظهرت هذه الصلة أول ماظهرت عندما تم تكوين وفد من إثنين من أعضاء اللواء الأبيض ليحملا عرائض الولاء لمصر لتكون سنداً للمفاوض المصري ضد العرائض التي جمعتها الإدارة البريطانية بمساعدة السادة أعضاء وفد ولاء الأعيان الذي سافر لإنجلترا في عام ١٩١٩، وكان علي رأسهم السادة علي الميرغني والشريف يوسف الهندي وعبد الرحمن المهدي. وكان وفد الجمعية مكوناً من الملازم أول زين العابدين عبد التام رئيساً للوفد وممثلاً للجناح العسكري في الجمعية وكان معه في الوفد محمد المهدي الخليفة عبد الله ليمثل الجانب المدني. وتكوين الوفد من عسكري ومدني يوضح نشاط اللواء في الجانبين. كما أنه تمثلاً للجانب الإجتماعي والوحدة الوطنية وهو من أولويات الجمعية فهي لا تؤمن بالفوارق الإجتماعية ولا بالعنصرية، بل أنها حاربت العنصرية والقبلية والطائفية التي ولدت وترعرعت في أحضان الإدارة البريطانية وغذتها ورعتها السياسة البريطانية لتكون سلاحاً تضرب به وحدة الشعب السوداني وقتما تريد، كما حاربت الجمعية القبلية في أبسط صورها بل أن الجمعية كانت يوتقة إنصهرت فيها

كل الفوارق الإجتماعية لتنصب في قالب الوحدة. سرية الحركة وعدم وجود شواهد كافية جعلت التحدث عنها به كثير من الأقاويل ورغم ذلك نجد الكثير من كتب التاريخ تحدثت بطرق مختلفة بعض الشيء، وتصح في مواقع أخري، ومن وصف محجوب عمر باشري، حيث والده، أحد الأعضاء وصديق لـــ عبيد فيقول: (لم أستطيع أن أحقق من هو الذي أنشأ جمعية اللواء الأبيض، ولكن حدثني أبى أنه كان يسكن مع السيد عبد السلام الخليفة، والسيد عبد الله الشفيع، وكانوا يعشقون القراءة ويراجعون تاريخ السودان باللغة الإنجليزية والعربية، ويصححون بعض الوقائع، وكان « عبيد حاج الأمين » يزوره ويسلفه بعض الكتب وقد أهدى إليه كتاب محمد أحمد المتمهدى لجرجى زيدان، وفى عام ١٩٢٣م، خرج الجناح المتشدد عن جمعية الإتحاد، وكون جمعية اللواء الأبيض، وآلت رئاستها لعلىّ عبد اللطيف تكريماً له، وكانت عضويتها سرية تتجمع من خلايا، لا يعرف أفراد الخلية أعضاء الخلية الأخرى، وكان لها قَسم على القرآن وعلى الإنجيل للمسيحيين، والقسم بالسيف والخبز وبصورة الملك فؤاد الأول والأنبياء والرسل، آلا يفرط أي عضو في لسانه، ولا يفشى أسرار الجمعية، وأن يساعد أعضاء الجمعية في وقت الشدة، ويعنى بأسرهم، وتوسعت عضوية الجمعية، وأصبحت لها فروع في بورسودان وواد مدني وعطبرا والأبيض وسنار وحلفا وكل أرجاء السودان، حيث وجد الوعي، وفى عام ١٩٢٤م، كان أعضاؤها ١٥٠عضواً، ولكن الذين ناصروها كانوا أكثر من هذا العدد، وحصلت المخابرات على ١٠٤اسمًا، كان أربعون منهم من صغار الموظفين في الحكومة وسبعة وعشرون ضابطاً في الجيش أوضباطاً متقاعدين، وعشرة من العمال وثمانية من التجار وستة من الكتبة وأربعة من كلية غوردون وأربعة من القضاة الشرعيين وثلاثة من المدرسين وإثنان من نواب المآمير هما، توفيق صالح جبريل وبشير جارالنبي . وقد فصل الأسماء الدكتور سعيد المهدي في المقالات التي نشرها في جريدة الصحافة عام ١٩٧٣م . وقد إتخذت الجمعية شعارها علماً أبيضاً رسمت عليه خريطة وادي النيل، وفى ركن منها العلم المصري الأخضر، وقد كتبت عليها عبارة

«إلى الأمام» دليل مبادئ الجمعية من وحدة وادي النيل تحت التاج المصري).

ملحوظة: يقال أن عبيد لحبه للقرأة، إمتلك مكتبة كبيرة بها أمهات الكتب، التاريخية والأدبية، وحبه للشعر جعله يحتفظ بالكثير من الأشعار المكتوبة، فكثرة أصدقاءه ومعارفه من المثقفين، اتاحت له فرص التبادل والإقتناء.

obeikan.com